الفصل الخامس

الاستعمار الهولندى فى أفريقيا

المحتويات :

١. هولندا تبرز كدولة استعمارية كبرى فى القرن السابع عشر الميلادى.

٢. نشاط شركة الهند الشرقية الهولندية.

٣. تكون مستعمرة الرأس الهولندية ونشاط البوير فيها.

٤. هجرة البوير ودوافعها.

٥. تكوين دولتى الأورنج الحرة والترنسفال.

٦. الحرب بين البوير والإنجليز.

- حملة جيمسون.
- تقرير ملنر وتجدد الحرب.
- تعيين كشنر قائداً عاماً للقوات البريطانية فى جنوب أفريقيا.
- انهزام البوير وتوقيع صلح بريتوريا ١٩٠٢ ونهاية الحكم الهولندى فى أفريقيا.
- قيام إتحاد جنوب أفريقيا داخل الكومنولث البريطانى

٧. نظام الحكم الهولندى فى جنوب أفريقيا.

obeikandl.com

obeikandl.com

يعتبر القرن السابع عشر قرن هولندا

فقد برزت فيه هولندا كدولة إستعمارية كبرى معتمدة على بحريتها وعلى تحول النشاط البحرى إلى طريق رأس الرجاء الصالح بعد أن ضعف شأن الدول المطلة على البحر المتوسط والتى كانت من أهم مراكز الحضارة فى العصور القديمة والوسطى، وزاد نشاط الدول المطلة على المحيط الأطلنطى والبحار المؤدية إليه ومن هذه الدول الأخيرة هولندا.

وكان **موقع هولندا** الفريد بالنسبة للقارة الأوربية وفى نهاية الشريان الملاحى الهام فى هذه القارة الذى يمثله نهر الراين كفيلاً بأن يُتيح الفرصة للهولنديين ليلعبوا فى هذا القرن السابع عشر الدور الأول فى الملاحة البحرية والاستعمار بدلاً من البرتغاليين والأسبان.

وكانت هولندا قد خضعت هى وبلجيكا للأسبان فترة من الزمن ولكن هب الهولنديون فى وجه الأسبان واستطاعوا فى (حروب الإصلاح الدينى) أن يظفروا باستقلالهم وينهضوا ببلادهم.

وبدأ الهولنديون صفحة نشاطهم البحرى فى عام ١٥٩٥، واستطاعوا أن يحلوا محل الأسبان والبرتغال فى مواقع متعددة من ساحل أفريقيا الغربى.

تكوين مستعمرة الرأس الهولندية ونشاط البوير فيها:

فى سنة ١٦٠٢ تأسست فى أمستردام **شركة الهند الشرقية الهولندية** للعمل فى الطريق الجديد المؤدى للهند والشرق، وكان ذلك إيذاناً بنشاط بحرى وتجارى ضخم أتاح لهولندا فرصة بسط نفوذها على كثير من الجهات وراء البحار، وأسس الهولنديون عدة حصون لهم على (ساحل الذهب) لخدمة أغراضهم الملاحية والتجارية، وبرز نشاطهم بالذات فى تجارة الرقيق بين غرب أفريقيا وأمريكا.

ونجحت هولندا فى أن **تنتزع من البرتغال السيادة** البحرية فى الطريق المؤدى للشرق، بل ونجحت فى أن تحل محل البرتغال فى جزر الهند الشرقية.

وفى عام ١٦٥٢ أرسلت شركة الهند الشرقية الهولندية التى منحتها الحكومة

الهولندية السلطة وحرية العمل فيما يتعلق بالملاحة والتجارة فى المحيط الهندى ـ بعثه من ثلاث سفن بقيادة فان ريبيك (Van Riebeek) لإنشاء محطة تموين لسفنهم لخدمة الملاحة فى هذا الطريق الطويل المؤدى من أوربا إلى الهند والشرق، ونجح الهولنديون فى تأسيس هذه المحطة فى منطقة (خليج تيبل) حيث تقع مدينة الرأس الآن.

وهكذا كان الهولنديون أول من نزل فى الرأس بموقعه الحيوى بعد أن أخطأها البرتغاليون بصورة محيرة وغير مفهومة، وكانت هذه بداية الإستعمار الهولندى فى أفريقيا والذى دام ما يقرب من ١٥٠عاماً بهذه الجهات[١].

واتجه الهولنديون لتقوية حصونهم فى منطقة الرأس لمواجهة هجمات الهوتنتوت الذين كانوا قد اندفعوا إلى الركن الجنوبى الغربى من القارة تحت ضغط قبائل البانتو القادمة من الشمال لمواجهة التهديد المستمر من القوى الإستعمارية الأخرى التى بدأت تظهر فى الميدان خاصة الفرنسيين.

وكانت المهام التى كُلف بها ريبيك تقضى بأن يضع يده على مساحات من الأرض لحساب الشركة ليمكن إقامة مخازن للقمح، ومحطات ملاحية ويمكن زراعتها واعدادها للرعى، وبذلك تتوفر اللحوم والخضروات الطازجة لبحارة السفن التابعة للشركة الهولندية والذين كانوا يُصابون بالأمرض نتيجة الحاجة للغذاء الطازج أثناء الرحلات الطويلة فى المحيطين الأطلنطى والهندى.

ولتحقيق ذلك نجحت شركة الهند الشرقية الهولندية فى تشجيع جماعات من الهولنديين للهجرة لمنطقة الرأس، واستقرت جماعة منهم فى المناطق الصالحة للزراعة فى الشمال والشرق وزرعوا الحبوب والكروم والزيتون والخضر والموالح وأطلقوا على هؤلاء الزراع إسم البوير (Boer) كما اتجهت جماعة منهم للهضاب حيث الحشائش الصالحة للرعى لتربية الحيونات اللازمة لتوفير اللحوم والألبان وغيرها[٢].

---

(١) جمال حمدان: مرجع سابق ص٧٩.

(٢) Leo Marquard: The Story of South Africa (London 1945) P.52 .

ومنحت الحكومة الهولندية لشركة الهند الشرقية الهولندية حرية التصرف فى المناطق التى خضعت لها فى أفريقيا.

وقد قامت الحياة الإقتصادية سواء أكانت زراعية أو رعوية أو غير ذلك على أساس الاسترقاق، فكان عبء العمل واقعاً على عاتق الأرقاء من الهوتنتوت، وأتاح ذلك الفرصة للمستوطنين لكى يبدأوا نشاطهم شرقاً وشمالاً ويوسعوا المناطق التى بسطوا نفوذهم عليها فى جنوب القارة، وارتبط الهولنديون فى جنوب شرق أفريقيا بعلاقات تجارية مع البرتغاليين فى موزمبيق، وقد قامت هذه العلاقات فى المبدأ على أساس أن يقوم المستعمرون البرتغاليون بتوريد ما يحتاجه الهولنديون من رقيق للعمل فى أرضهم ومراعيهم لكن اتسع نطاق هذا التعاون فيما بعد.

وفى سنة ١٧٩٤ غزت فرنسا هولندا وهرب ملك هولندا إلى انجلترا وسمح لانجلترا باحتلال منطقة الرأس ليحولوا دون قيام فرنسا بهذا العمل، واستمر هذا الاحتلال البريطانى لمنطقة الكيب ثمانى سنوات.

وبمقتضى معاهدة أميان ١٨٠٢ بين انجلترا وفرنسا أعُيدت منطقة الكيب فى ١٨٠٣ إلى الهولنديين وتتابعت الأحداث فى أوربا فقد اجتاح بونابرت بجيوشه معظم القارة ـ لكن إستطاع نلسن أن يهزم الأسطول الفرنسى عند (الطرف الآغر) وعزز الإنجليز هذا النصر بإرسال قوة بحرية لبسط سيطرتهم على منطقة الرأس التى أدركت انجلترا أهميتها الإستراتيجية لهم فى الطريق المؤدى للهند والشرق.

وأقرت الدول فى (مؤتمر فيينا) ١٨١٥ـ ضم مستعمرة الرأس لإنجلترا التى أصرت على ذلك ومن ثم أخذت انجلترا تشجع هجرة الإنجليز إلى هذه المستعمرة فهاجر إليها عدد كبير من البريطانيين ومن هذا التاريخ ارتبط تاريخ المستعمرة بالسياسة الإستعمارية البريطانية.

هجرة البوير وأسبابها:

أخذ الإنجليز بعد الإعتراف الدولى لهم باستعمار مستعمرة الرأس يضيقون

على البوير فى معيشتهم فألغوا المحاكم الهولندية، وجعلوا اللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية الوحيدة، كما حاولوا إرضاء البانتو فأعادوا إليهم أراضيهم، ومنحوا الحقوق المدنية للهوتنتوت، وألغوا الرق وحرروا الرقيق الذين كانوا فى حوزة البوير، وأدى هذا كله إلى أن يقرر البوير الهجرة إلى الشمال فى جماعات متعاقبة على أمل أن يجدوا مجالاً أوسع يمارسون فيه نشاطهم دون تدخل الإدارة البريطانية فى شئونهم، وهكذا بدأت هذه الهجرة التى تُعتبر من أعجب حركات الهجرة الإختيارية فى العالم وقد عُرفت هذه الحركة التى بدأت حوالى عام ١٨٤٠ باسم الزحف العظيم (The Great Trek).

وكثرت الأقوال عن الأسباب الحقيقية التى دعت إلى أن يترك البوير مساكنهم وأراضيهم فيهاجروا إلى أرض مجهولة موحشة، فلاشك فى أن هناك أسباباً قوية دفعت بهم إلى أن يتصرفوا هذا التصرف.

من هذه الأسباب التى ذُكرت الضيق الذى شعروا به إزاء الأفكار الجديدة التى حاول الإنجليز فرضها بإسم (الإصلاح)، ومنها أن المعلومات التى اذاعها ونشرها الرواد الأوائل من البوير الذين سبقوا إخوانهم فى ارتياد الأمكان الشمالية ـ عن المراعى المتوفرة والأرض الفسيحة كانت تبدو جذابه وتدفع للمغامرة ولاشك فى أن هناك عوامل أخرى إرتبطت ببعض هذه الحركات فكثيرون اشتركوا فى هذا الزحف لمجرد أن أقاربهم أو جيرانهم أصروا على الهجرة فلم يجدوا هم أيضاً بدأ من أن يرافقوهم، وبعض الشبان اشتركوا فى هذا الزحف حباً فى المغامرة، بينما وجد الشيوخ غير الراغبين فى الهجرة أنفسهم مدفوعين للهجرة تحت ضغط زوجاتهم اللاتى لم ترق فى نظرهم القوانين التى بموجبها تحرر الخدم وأصبحوا متساويين مع سادتهم[1].

والبعض هاجروا هرباً من الديون التى كانوا مثقلين بها.

ولكن رغم إختلاف الدوافع التى دفعت للهجرة ـ فإنه بمضى الزمن تناسى الأفراد كما تناست الجماعات هذه الدوافع وأسبغ الجميع على هذا العمل صورة

(١) أصدر البرلمان الإنجليزى فى عام ١٨٣٤ قراراً بتحريم الرق فى كل الأملاك البريطانية بما فيها جنوب أفريقيا.

البطولة والتضحية فى سبيل الحرية، والإنسان عادة ينظر للدوافع الإقتصادية نظرة أقل إحتراماً وتقديراً، فيرجع تصرفاته فى الغالب لدوافع تتصل بالمثل العليا وتختلف الأرقام التى تذكرها المراجع للأعداد التى اشتركت على مدى سنوات متعاقبة فى هذه الهجرات التى أدت لتغيير كبير فى النسيج الإجتماعى والسياسى فى جنوب أفريقيا.

وقد اشتهر فى هذه الرحلات الحاسمة فى تاريخ البوير أبطال قادوا حركة الزحف وتقدموا الجماعة ونظموا حياتها فى الترحال والإستقرار وفى مواجهة المخاطر الطبيعية والأعداء البشريين، وكان ضمن جماعة المهاجرين التى بدأت زحفها فى عام ١٨٣٦م صبى صغير يبلغ من العمر عشر سنوات يدعى بول كروجر(paul Kruger) وهو الذى سيصبح فيما بعد القائد العظيم الذى رأس جمهورية البوير فى الترنسفال لعدة سنوات.

تكون دولتى أورنج الحرة والترنسفال:

١ـ حاول البوير فى البداية بعد نزوحهم من منطقة الرأس ـ الإستقرار فى (ناتال) لكنهم اصطدموا بقبائل الزولو المحاربة، كما أن السلطات الإنجليزية فى منطقة الكيب بدأت تشعر بعدم الإرتياح من هجرة البوير الجماعية وتجمعهم من جديد فى ناتال وتكوينهم جمهورية مستقلة هناك ـ خاصة أن الإنجليز شعروا بالأهمية الإستراتيجية والتجارية لميناء (دربان)، كما أن إكتشاف الفحم فى ناتال جعل أنظار الإنجليز تتجه إليها خاصة بعد أن أصبحت للفحم أهمية خاصة فى عصر البخار.

فأصدر البرلمان الانجليزى فى ١٨٣٦ قراراً باعتبار المهاجرين من البوير تبعية بريطانية مهما بعد توغلهم للداخل.

وفى مايو ١٨٤٢ أرسل حاكم مستعمرة الرأس البريطانية قوة لميناء دربان لإخضاعها واستطاع البوير فى أول الأمر أن يهزموا القوات الإنجليزية المهاجمة ـ لكن أسرعت انجلترا بارسال نجدات جديدة من مدينة الرأس عززت مركز قواتها وأخضعت ناتال لها.

وفى أغسطس ١٨٤٥م أعلنت الحكومة البريطانية ضم ناتال إلى مستعمرة الرأس، وهكذا أصبحت ناتال مستعمرة بريطانية.

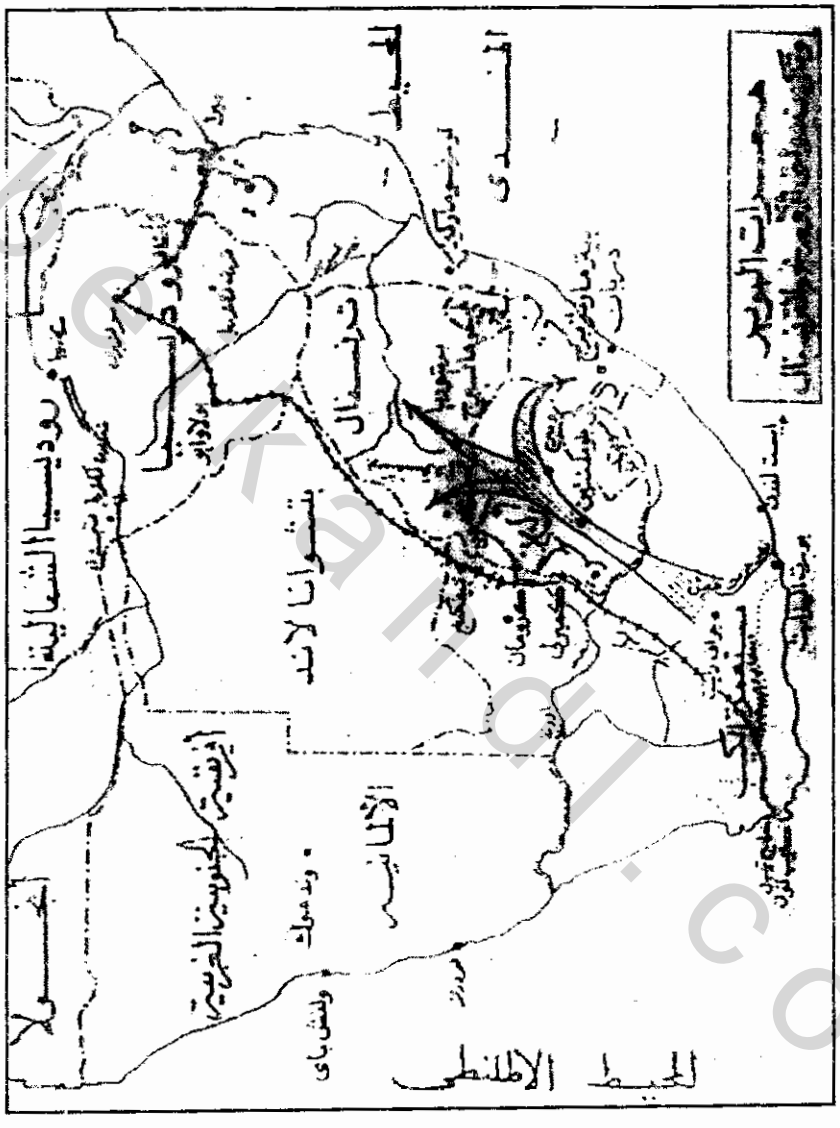

شكل رقم (١١) هجرات البوير وتكوين دولتى الأورنج والترنسفال

٢ـ أما البوير فقد زحفوا من جديد فى مجموعات إتجهت شمالاً عبر نهر الفال وغرباً متتبعة نهر الأورنج، وتعددت مجموعات البوير فى أماكن استقرارهم الجديدة عبر نهر الفال وفى منطقة الأورنج ـ لكن بريطانيا كانت لا تزال تنظر إليهم على أنهم خاضعون لسلطتها فى نفس مستعمرة الرأس.

على أن تغيير المناخ السياسى فى انجلترا ذاتها ووصول دعاة إنجلترا الصغرى الذين كانوا ينظرون إلى التوسع الإمبراطورى على أنه عديم الفائدة أدى إلى فتح باب المفاوضات من جديد بين ممثلى انجلترا وممثلى البوير وانتهى الأمر بعد اتفاقية اعترفت فيها انجلترا فى عام ١٨٥٢م باستقلال البوير الساكنين بين نهر الأورنج والفال.

وكانت هذه هى بداية **جمهورية الترنسفال** التى توحدت فيها كل مراكز إستقرار البوير عبر نهر الفال والتى إتخذت من مدينة (بريتوريا) عاصمة لها وكان إسمها الرسمى جمهورية جنوب أفريقيا، كذلك **دولة الأورنج** الحرة التى إتخذت مدينة (وتنبرج) عاصمة لها ـ وقدر لدولتى البوير أن تعيشا ما يقرب من خمسين عاماً قبل أن يخضعا من جديد للنفوذ البريطانى، وقد أخذ العمران يمتد إلى كل من جمهوريتى البوير.

٣ـ وكان **اكتشاف الماس** فى (كمبرلى) فى الصحراء الواسعة الواقعة غرب دولة الأورنج، والعثور على **الذهب** فى (جوهانسبرج) بالترنسفال ـ بداية صفحة جديدة فى تاريخ هذه البلاد ـ فقد ترتب على هذه تدفق أفواج البريطانيين من ناتال ومن منطقة الرأس ومن انجلترا ذاتها ومن مستعمراتها الأخرى، بل جاءت لهذه الجهات للعمل بالتعدين ـ أعداد غفيرة من المغامرين الأوربيين فى موجات فاقت فى زحفها موجات البوير فى زحفهم الكبير السابق حتى أطلق بعض الكتاب على هذا الزحف تعبير (The Diamond Rush)، وبدأ تدفق الناس على هذه الناطق بالعشرات والمئات من مختلف جهات العالم، من أوربا ومن أمريكا ومن استراليا طلباً للثروة، وكان البوير أيضاً من الساعين وراء الثروة فتركوا زراعتهم ومراعيهم للمشاركة فى الميدان الجديد الذى انفتح أمامهم، كما تتبعتهم جماعات من الأفريقيين للقيام بالأعمال الشاقة التى

يعجز الأوربيون عن القيام بها، وغصت المنطقة بالتالى بالتجار وأصحاب الحوانيت والمحامين بالإضافة إلى مندوبى الصحف ورجال المال وغيرهم من مختلف الجهات والأجناس وبدأت إقامة عشرات المساكن المؤقتة والدائمة لإيواء القادمين، وقد أصبحت (كمبرلى) فى فترة وجيزة ثانى مدن جنوب أفريقيا بعد الرأس من حيث العمران والحركة التجارية وبدأ مد الخطوط الحديدية وخطوط التلغراف لربط مناطق الماس بالموانى الساحلية.

٤ـ وكان إكتشاف الماس بداية المشاكل السياسية التى واجهت البوير فقد أدى لنزاع على ملكية المنطقة التى لم يكن يهتم بها أى طرف من قبل.

على أن اكتشاف الذهب أيضاً حول (جوهانسبرج) كان له نفس تأثير اكتشاف الماس فقد تدفق على المنطقة عشرات بل مئات من المغامرين وطلاب الثراء (TheGold Rush) وبدأ تكوين الشركات لإستغلال هذا المعدن، وبدأ تدفق المهاجرين الأجانب على جوهانسبرج وكانت غالبيتهم من الإنجليز.

وكانت أثار هذه الهجرات الضخمة التى ترتبت على اكتشاف هذه المعادن النفيسة بعيدة المدى فقد أصبح **المهاجرون الإنجليز** بأعدادهم الغفيرة وبالقوة التى تساندهم فى جنوب أفريقيا وفى انجلترا ذاتها ـ يمثلون عظمة فى حلق جمهورية البوير فقد أخذ المهاجرون الذين أطلق عليهم البوير لفظ أجانب (Outlanders) يثيرون المشاكل للبوير فى الترنسفال، والأورنج والذين اعتادوا حياة الهدوء التى كان يحياها زراعهم ورعاتهم.

الحروب بين البوير والإنجليز ونهاية الإستعمار الهولندى

الحروب بين البوير والإنجليز ليست صورة من صور الكفاح الوطنى بين الوطنيين والأوربيين لكنها صورة أخرى من صور الصراع بين الأوربيين على الإستحواذ على ثروات القارة الأفريقية.

فقد عاصرت اكتشاف الذهب والماس فى جنوب أفريقيا تطورات جذرية فى سياسة الدول الأوربية تجاه القارة الأفريقية التى كان الرحالة والمكتشفون قد سلطوا عليها الأضواء وعلى بعض ماتختزنه من ثروات.

وفى عام ١٨٧١وفد إلى جنوب أفريقيا شاب إنجليزى - هو **سيسل جون رودس** (Cecil John Rhodes) للإستشفاء بناءً على توصية طبيبه.

وبدأ رودس بمجرد وصوله لجنوب أفريقيا العمل فى الزراعة لكنه ترك مزارع (ناتال) متجهاً صوب المنطقة التى عُرفت فيما بعد باسم كمبرلى للعمل فى المناجم، وقد ربح سيسل رودس من هذا النشاط الجديد مبلغاً طيباً - لكن أطماعه لم تكن قاصرة على الإنعزال فيها بل كان يحلم إن تمد انجلترا سلطانها على أقصى ما يمكنها من القارة الأفريقية بل على القارة كلها إن أمكن ذلك، فكان دائماً يردد «من الرأس إلى القاهرة تجاه البحيرات الاستوائية وعبر السودان توجد أراضى شاسعة يمكن أن تعوض إنجلترا عن الولايات التى خسرتها فى أمريكا الشمالية فى حرب التحرير»(١).

واصطدمت أحلامه هذه بأحلام البوير، ففى الترنسفال حيث استقر البوير وكونوا جمهورية جنوب أفريقيا واتخذوا (بريتوريا) عاصمة لهم - ظهرت شخصية **بول كروجر** (Paul Kruger) الذى أنتخب رئيساً للجمهورية البويرية وكانت له أطماع شبيهة بأطماع رودس، فقد كان يطمع فى أن ينجح فى تكوين جمهورية للبوير - فى جنوب أفريقيا لاتكون تحت رحمة الإنجليز الذين أخذوا يضيقون الخناق على البوير لذا فقد كان كروجر يطمع فى مد نفوذه على نهر

(١) Lockhart, C & Wood house, C.M.: Cecil Rhodes; The CIossus of Southern Africa .(N.Y.1963)

زمبيزى، كما كان يطمع فى إيجاد منفذ على المحيط حتى لا يكون تحت رحمة الإنجليز والموانى البريطانية لسد حاجاته الرئيسية.

وقد مهدت هذه الأوضاع المتشابكة للإصطدام بين القوتين الإستعماريتين الأوربيتين فى أفريقيا ـ قوة الإنجليز وقوة الهولنديين (البوير).

على أن اكتشاف المعادن فى هذه المناطق زاد الأمر تعقيداً ـ فبينما نجد **سيسل جون رودس** كان قد حصل عام ١٨٨١ على شهادته الجامعية من جامعة أكسفورد، كما أصبح فى نفس العام عضواً فى برلمان مستعمرة الرأس البريطانية ـ يسعى حثيثاً لمد النفوذ البريطانى للشمال ـ كان بول كروجر يسعى لتوحيد وربط البوير فى الأوزنج والترنسفال عن طريق الاستيلاء على المناطق الفاصلة بينهما.

على أن ظهور الألمان كقوة إستعمارية منافسة لإنجلترا وبسط نفوذهم على المنطقة المقابلة لأراضى البوير فى غرب أفريقيا وخوف إنجلترا من التقارب **الألمانى البويرى** ـ جعل الإنجليز يسرعون فى عام ١٨٨٦ بإحتلال منطقة (بتشوانالاند) التى كانت مطمع أنظار كل من البوير والمستعمرة الألمانية فى جنوب غرب أفريقيا ولم تقف أطماع الاستعماريين البريطانيين عند هذا الحد فقد شجعهم هذا لمد أنظارهم أيضاً **لمملكة المتابيلى** (Matabele) الأفريقية فى المنطقة الممتدة من (بتشوانالاند) شمالاً وكان على رأس هذه المملكة ملك أفريقى هو الملك لوبنجيولا(Lobengula).

وفى عام ١٨٨٩ نجح رودس فى الحصول من البرلمان الإنجليزى على مرسوم تأسيس (**شركة جنوب أفريقيا البريطانية**) واستطاع أن يحصل للشركة على حق استغلال الأراضى التى كانت تحت سلطة الملك لوبنجيولا وأن يقضى فى عام ١٩٨٠ على نفوذ هذا الملك وأن يمد النفوذ البريطانى على المنطقة التى اطلق عليها فيما بعد اسم (روديسيا) نسبة للرجل الذى ربط هذه البلاد بعجلة الإمبراطورية البريطانية[١].

(١) للدراسة التفصيلية لهذه الأحداث عن روديسيا يرجع إلى:
شوقى الجمل: قضية روديسيا بين الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية

وقد عجلت هذه الأحداث بالاصطدام المتوقع بين البوير والانجليز وكان رودس قد أصبح فى عام ١٨٩٠ رئيساً لوزراء مستعمرة الرأس فأصبح فى مركز يمكنه من تحقيق أطماعه أكثر.

وقد مر الصراع بين البوير والإنجليز فى مراحل نجملها فيما يلى:

١ـ يبدو أن أفكار رودس كانت تتجه فى المبدأ إلى محاولة ضم جمهوريتى البوير بالطرق السلمية ـ لكنه أيقن بعد ذلك أن أطماعه لن تتحقق طالما كان كروجر يمسك بدفة الأمور فى الترنسفال، ولذا وجه جهوده للإطاحه بزعيم البوير، ولتحقيق هذا الهدف اشترك فى تدبير المؤامرة التى عرفت باسم **(غارة جيمسون)**.

وقصة هذه المؤامرة تتلخص فى أن كروجر كان يعانى من الثورات ـ والإضطرابات الداخلية بسبب المهاجرين البريطانيين لجمهورية الترنسفال للعمل بها بعد اكتشاف الذهب فيها وأدى ذلك الإختلال التوازن فى المدينة إذ أصبحت غالبية كبرى من سكانها من الإنجليز ويبدهم الجزء الأكبر من ثروة البلد، ولم يلبث أن طالب هؤلاء بمنحهم الحقوق السياسية للمواطنين البوير كحق التصويت فى الإنتخابات، وغير ذلك من المطالب ـ لكن كروجر رفض منحهم هذه الحقوق لأنه كان ينظر إليهم على أنهم دخلاء جاءوا للإثراء السريع، وحين يحققون هذه الأهداف لا يلبثون أن يرجعوا على أعقابهم، كما أن ميولهم لبريطانيا لم تكن خافيه عليه.

فرأى رودس أن ينتهز هذه الفرصة لمساندة دعاة الثورة فى جوهانسبرج على أن ينجح بذلك فى ازاحة كروجر الذى يمثل عقبة حقيقية فى كل خططه لتوحيد جنوب أفريقيا تحت العلم البريطانى.

ولذا أعد قوة على حدود الترنسفال بقيادة جيمسون أحد معاونية لتكون مستعدة لدخول الترنسفال بمجرد قيام الثورة المتوقعة فى جوهانسبرج.

وكُشفت خطط رودس ووصلت لعلم كروجر بل قيل إن رجل الشارع فى جوهانسبرج كان يتحدث عنها وكان تعليق كروجر على ذلك «سأنتظر حتى

تخرج السلحفاه رأسها فأقطعها»[١] أى أنه لن يبدأ هو بالحرب بل يترك للإنجليز فرصة الإنزلاق لذلك ـ ومهد جيمسون لحملته بزيارة لجوهانسبرج.

وقد اتفق **جيمسون** فى هذه الزيارة مع الزعماء البريطانين المهاجرين على تحديد يوم ٢٨ ديسمبر ١٨٩٥ كتاريخ للقيام بالثورة على حكومة كروجر وقبل الموعد المحدد بأيام وصل لعلم رودس أن الذين وعدوا بتمهيد الطريق للحملة عن طريق اثارة الإضطرابات فى جوهانسبرج قد تراجعوا حالياً عن قرارهم، فأبرق إلى جيمسون لينتظر حتى تصله تعليمات أخرى لكن هذا الأخير ـ وكان قد أعد كل شىء للحملة صمم على أن يستمر فى خطته، وتحرك جيمسون على رأس حملته صوب جوهانسبرج وهاجم حدود الترنسفال دون أن تكون هناك أية ثورة فى جوهانسبرج تساعده، وانتهى الأمر بقتل عدد من رجال الحملة وأسر جيمسون نفسه والباقين على قيد الحياة من رجاله فى بريتوريا.

وكان أول أثر لهذه **الحملة الفاشلة** توسيع الخلاف بين الهولنديين والإنجليز، كما أثارت ثائرة عدد من الإنجليز فى انجلترا ذاتها، وفى مدينة الرأس بدأت الحكومة الانجليزية تجرى تحقيقاً لإدانة المسئولين عن القيام بهذه الحملة التى اساءت إلى سمعة انجترا والتى لم تؤخذ موافقة الحكومة والبرلمان الإنجليزى عليها.

ولما وصلت أخبار هذه الحملة إلى (المانيا) ارسل القيصر الإلمانى إلى كروجر يعبر عن تهانيه الحارة لأنه مؤيداً من مواطنية ومن غير أن يحصل على مساعدة القوات الصديقة نجح بحكمته القوية فى القضاء على الغوغاء المسلحة التى غزت بلاده لتهديد السلام[٢].

وكان لهذه التهنئة من الدولة التى كانت أنجلترا تنظر إليها فى ذلك الوقت على أنها المنافس الخطير لها ولأطماعها ـ رد فعل كبير حتى عند رجل الشارع فى انجلترا فقد أعتُبر خطاب الامبراطور الإلمانى بما فيه من تهكم صفعة موجهة للبريطانيين.

أما عن زعيم البوير **كروجر** فقد كان من الطبيعى بعد هذا الفوز الساحق أن

(١) Krger, p.: The Memoirs of paul Kruger Vol.1(London 1902)P.222

(٢) Marais, J.: The Fall of Krugers Republic (OxFord 1961)P.97.

يملى شروطه، وكانت هذه فرصته للتخلص من عدد من المهاجرين البريطانيين للترنسفال الذين كانوا يثيرون المتاعب لحكومته، كما كانت فرصته لأن يلزم كل من يملك سلاحاً بتسليمه فوراً للسلطات الحاكمة وبعد أن حصل على كل ما يريده وافق على تسليم جيمسون ورجاله للحكومة البريطانية لمحاكمتهم بصفتهم رعايا بريطانيين أما عن رودس فقد أضطر لتقديم إستقالته هو ووزارته.

المهم أن حملة جيمسون وضعت الإنجليز والهولنديين وجهاً لوجه.

على أن هذه الحملة ساعدت على التقارب بين جمهوريتى البوير (والترنسفال والأورنج الحرة) فعقدت محالفة دفاعية بينهما - إذا أصبح واضحاً أن هدف الانجليز هو ضم مناطق البوير هذه نهائياً لنفوذهم، وكان واضحاً أن كلاً من القوتين تتربص بالأخرى وتعد نفسها لمرحلة جديدة من القتال[١].

ولما كثرت شكوى البريطانيين الموجودين فى جمهورية الترنسفال من سوء معاملة حكومة كروجر لهم أرسلت الحكومة الانجليزية لجنة برئاسة ملنر(Milner)[٢] لبحث أسباب الشكوى، وكان رأى ملنر أن الحل الوحيد هو غزو جمهورية الترنسفال، ولذا فقد كان تقريره قائماً ومثيراً لمشاعر البريطانيين وحكومتهم.

أما عن كروجر فقد كان آخر تصريح له بإسم حكومته فى ١٦ سبتمبر هو «إننا قد بذلنا بأمانة كل جهد لتفادى تدهور الموقف، ولا يمكن أن نبذل أكثر من ذلك واذا كان علينا أن نفقد استقلالنا فلا أقل من ألا نضحى به بلا شرف وكرامة[٣].

٢- انتهى الأمر بأن أرسل كروجر إنذاراً لبريطانيا بضرورة سحب قواتها التى حشدتها على حدود الترنسفال، وقد رفضت الحكومة البريطانية هذا الإنذار، وأعلنت الحرب بين الطرفين فى (١١ أكتوبر ١٨٩٩) وانضمت جمهورية الأورنج الحرة إلى الترنسفال تنفيذاً للمعاهد الموقعة بينهما.

---

(١) Marais: Ibid p, 148.

(٢) اشتهر ملنر فى تاريخ الحركة الوطنية فى مصر فقد كان مع رأس اللجنة التى أرسلتها إنجلترا لبحث ثورة المصريين بعد الحرب العالمية الأولى، وقد قاطعها المصريون حسب تعليمات سعد زغلول واتباعه.

(٣) Krugers Memoirss Marais:Ibid p. 332.

وسنتابع أحداث الحرب بين البوير والإنجليز:[١].

١ـ فى المبدأ استطاع البوير غـزو ناتال، وتتابعت بعد ذلك **إنتصارات البـوير** خلال النـصف الأول من ديسـمبر ١٨٩٩ حتـى أن كتاب الحرب الإنجـليز الذين كتبوا عن حـرب البوير اطلقوا على الأسبوع الثانى مـن شهر ديسمبر تعـبيـر الأسبـوع الأسود (Black week)، فقـد كانت مدنـهم الهامـة فى مستعمرة الرأس محاصرة وجيوش البوير تنتقل من نصر إلى نصر.

٢ـ على أن تعـيين **كتشـنر** فى ديسمبر ١٨٩٩ قائداً عـاماً للقوات المحاربة فى جنوب أفريقيا بعد الإنتصار الذى حققه فى قيادة حملات استرداد السودان ـ كان نقطة تحول فى مجرى هذه الحروب، وبدأت القوات الإنجليزية والهندية لنجدة قوات مستعمرة الرأس.

ومنذ فبـراير ١٩٠٠م استطاعت القـوات الإنجليزية أن توجه ضـربات قوية لجمهوريـة الأورنج الحرة، وأدى غزو جمهورية الأورنج الحـرة إلى الإرتباك فى صـفوف البوير فأخذت مدنهم الهامة تسقط الواحدة تلو الأخرى فى يد الانجليز.

٣ـ ظل البـوير يحاربون بعـد ذلك ما يقرب مـن عام ونصف العام دفـاعاً عن حريتهم دون جدوى، فقد كانت معظم مـدنهم الهامة قد سقطت فى أيدى الإنجليز، كما أنه لم يتحقق أملهـم فى أن تنهض ألمانيا أو غيرها من الدول الأوربية التى كانت تـتعارض مصالحها مع سياسة إنجلـترا فى جنوب القارة لمعاونتهم.

وقد اتبع كتشنر كل صنوف **الوحشية فى حربه** ضد البوير من حرق المدن وأبادة كاملة للسـكان من أطفال ونساء لإفساح المجال لمهـاجرين جديد من الإنجليز مستنداً فى دعواه للقيام بهذه الأعمال البربرية إلى أن البوير يتخذون من المـساكن الـصغيـرة فى القرى وفـى وسط الحقـول مأوى تختـبئ فـيه عصاباتهم التى تـقوم بنسف الخطوط الحديدية، كما أنها تـستخدم كمخازن للمؤن والذخيرة التى تمد الجيوش التى تحاربهم بحاجتها.

(١) لمزيد من التفاصيل يرجع إلى:

Pemberton,Baring:Bttles of the Boer War (London 1964).

obeikandl.com

٤ـ وفى عام ١٩٠١ بدا واضحاً لزعماء البوير وقادتهم ـ تفوق الإنجليز خاصة بعد أن أصيبت بلادهم بالدمار بالإضافة إلى الإنهيار الإقتصادى، بينما كان فى استطاعة القوة الإنجليزية أن تعتمد باستمرار على أعداد جديدة من المحاربين ومن العتاد الحربى من الهند ومن إنجلترا بالإضافة إلى المعونة الإقتصادية ـ لكن البوير وقفوا بمفردهم فى هذه الحرب يدافعون ببسالة عن جمهوريتهما، ولذا أثيرت احتمالات التفاوض من أجل الصلح.

٥ـ وفى مايو ١٩٠٢ استقر رأى البوير على أن يتكون وفد من خمسة ممثلين لمقابلة ملنر وكتشنر للتفاوض فى شروط الصلح، وحاول الوفد جهده أن يُثنى المتفاوضين الإنجليز تصميمهم على تنازل البوير عن استقلالهم دون جدوى وانتهى الأمر بتوقيع معاهدة بريتوريا فى ٣١ مايو ١٩٠٢ وهكذا فقدت جمهوريتا البوير استقلالهما.

وعينت الحكومة الإنجليزية ملنر (Milner) حاكماً عاماً للمستعمرتين اللتين ضُمتا حديثا للتاج البريطانى ضمن ما عُرف (بإتحاد جنوب أفريقيا) الذى تكون من أربع ولايات هى (الكيب، وناتال، والترنسفال، والأورنج)[١].

وفى عام ١٩١٠ أصبح اتحاد جنوب أفريقيا وحده يحكمها حاكم عام واحد تتمتع بالإستقلال أول ما عُرف باسم دومنيون (Dominion) داخل الكومنولث البريطانى.

نظام الحكم الهولندى فى جنوب القارة:

١ـ كانت (شركة الهند الشرقية الهولندية) هى صاحبة السلطة فى مناطق الإستعمار الهولندى بجنوب القارة حتى عام ١٧٩٥، وكان مجلس إدارة الشركة فى أمستردام بهولندا ـ وكانت لمجلس إدارة الشركة كافة السلطات فهو يصدر التعليمات، كما يصدر القوانين التى تتعلق بتنظيم التجارة التى تتصل بعلاقات الناس وبشئون الدين وتنظيم العلاقات الإجتماعية من زواج وغيرها وبمضى الوقت وبازدياد نشاط الشركة فى القارة الأفريقية أصبحت الحاجة ماسة لايجاد مجالس أخرى لمواجهة الحاجات المختلفة.

---

(١) يرجع إلى:

Milner: The Nations and The Empire (1913).

وكانت الإدارة فى منطقة الرأس تعهد بها الشركة عادة لضابط يقوم بتنفيذ الأوامر الصادرة من مجلس إدارة الشركة، وكان يعاونه مجلس استشارى.

وقد لجأت الشركة لإستيراد الرقيق من أنجولا وموزمبيق للعمل فى الحقول والمراعى، وإلى جانب الرقيق كان (الهوتنتوت) الذين أصبحوا شعباً من الخدم يعمل لخدمة الفلاحين الهولنديين، وقد تناقص عددهم بشكل ملفت للنظر، وانتشرت بينهم الأمراض كما انتشرت بينهم عادات رديئة كشرب الخمر.

وقد شجعت الشركة الفرنسيين البروتستانت الهاربين من الإضطهاد الدينى فى بلادهم للهجرة لمستعمرة الرأس، لكن عدد الذين هاجروا من الفرنسيين كان محدوداً أيضاً وكان مصيرهم الإندماج فى المجتمع الهولندى فى المستعمرة، وبمضى الوقت تعلم أبناؤهم الهولندية وفقدوا صفاتهم المميزة كفرنسيين.

وقد أدت السياسية الإستقلالية للشركة بالإضا فة إلى تشجيع الحكام والموظفين الذين كان كل همهم الإثراء على حساب شقاء الآخرين وسوء إستغلالهم للسلطة الممنوحة لهم - إلى قيام حركات الاحتجاج بين المستوطنين وأضطرت الشركة لاستخدام القوة لقمع هذه الحركات.

وكان على الشركة الهولندية أن تواجه فى شرق مستعمرة الرأس مشكلات اجتماعية وإقتصادية وسياسية بالإضافة إلى المشكلات التى تنشأ بسبب الصدام بين الأوربيين والأفريقيين على ملكية الأرض وإستغلالها، ولعل المشكلات التى واجهتها الشركة فى الغرب كانت أقل من مشكلات الشرق وترجع أغلبها لسوء إدارة الشركة ولإنتشار الرشوة والسرقات بين موظفيها مما أدى بها إلى حافة الإفلاس.

ونشير هنا إلى أن الفترة الأخيرة من حكم الهولنديين لمنطقة الرأس شهدت بداية النشاط التبشير الذى اتسع مداه بعد أن انتقلت الإدارة للبريطانيين وقد سبق أن ذكرنا أن هذه الجمعيات التبشيرية كانت تمارس عدة أنشطة فى مجالات متعددة.

٢ـ وبعد أن استقر البوير فى مستعمرتيهما الجديدتين الترنسفال ودولة الأورنج الحرة ـ ظهر أنه كانت تنقصهم كثير من الخبرات فى مجال الحكم والاقتصاد، كما أنهم لم يستفيدوا من خبرة البريطانيين الحاكمين فى مستعمرة الرأس، وناتال بل نظروا لهم نظرة شك وعداء، وظل الأمر كذلك حتى فقدت الجمهوريتان البويريتان استقلالهما بعد حرب البوير.

٣ـ ونشير إلى نقطة هامة كانت عميقة الأثر فيما بعد فى تاريخ ومستقبل جنوب أفريقيا ـ وهى تتعلق بحقوق الشعب الأفريقى صاحب البلد الحقيقى والذى يمثل حتى بعد تدفق الهجرة الأوربية لبلاده أكثر من ٨٠٪ من السكان.

ففى النظم التى وضعت للحكم فى هذه البلاد والتى رسمها دستور ١٩١٠والدساتير اللاحقة له ـ لم يكن للسكان الوطنيين أى نصيب فى تسيير دفة الحكم ولم يمنُحوا حتى حق إبداء الرأى فى الشئون المتصلة بهم أو فى تقرير مصير بلادهم وأصبح الأمر بيد البيض من الإنجليز والبوير.

ووجد الإنجليز بعد أن استقرت لهم الأمور بعد إنتصارهم فى الحرب على البوير ـ الفرصة سانحة لمجاملة أعدائهم السابقين من البوير بقصد تضميد ما تركته الحرب من حزازات بين القوتين الاستعماريتين وكان ذلك بالطبع على حساب الوطنين الأفريقيين الذين أصبحوا غرباء فى بلادهم ويعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية، ولايتمتعون بأية حقوق سياسية أو إجتماعية، ولعل هذه كانت بداية (**التفرقة العنصرية**) الصارخة التى أصبحت تتمثل بشكل بشع فى جنوب أفريقيا والتى ظلت تمارسها السلطات الحاكمة من المستوطنين البيض فى هذه البلاد لمدة طويلة.

ولم يقض على هذه التفرقة المعنصرية إلا بعد جهود جبارة بذلها حزب المؤتمر الوطنى الأفريقى بزعامة نلسون مانديلا الذى قبض عليه وأودع السجن فى أغسطس ١٩٦٢ بتهمة التخريب والتآمر لقلب نظام الحكم ولم يفرج عنه

obeikandl.com

الا فى الحادى عشر من فبراير عام ١٩٩٠ بعد سبعة وعشرين عاما وستة أشهر وستة أيام قضاها فى السجن ـ وذلك بقرار من ديما فريدريك رئيس حكومة جنوب أفريقيا الذى إضطر أخيراً للخضوع للرأى العام العالمى ولحركة المقاومة الوطنية الأفريقية وأعطى للإفارقة حقهم فى الاشتراك فى الانتخابات الدستورية التى أسفرت عن نجاح حزب المؤتمر الوطنى الساحق فتولى رئاسته نلسون مانديلا الحكم وقاد حكومة جنوب أفريقيا بحكمة كدولة يتمتع جميع مواطنيها بحقوقهم الطبيعة ـ وبذلك قضى على آخر معاقل التفرقة العنصرية فى أفريقيا[١].

(١) للمزيد من التفاصيل يرجع إلى:
ـ عبدالله عبدالرازق إبراهيم: نلسون مانديلا وتحرير جنوب أفريقيا.
ـ كذلك يرجع إلى الفصل الخامس بالمشكلات المترتبة من الاستعمار لاأوربى لافريقيا ـ فى هذا الكتاب ١٣٣ . .

obeikandl.com

المراجـــع

لمن يريد المزيد من التفاصيل.

أولاً. المراجع العربية:

- جمال حمدان: استراتيجية الإستعمار والتحرير (القاهرة ١٩٦٨)
- عبدالله عبدالرازق إبراهيم: نلسون مانديلا وتحرير جنوب أفريقيا (القاهرة ١٩٩٠).

ثانياً. المراجع الأجنبية:

1 - Arthur, George, Sir: Life of Lord Kitchener 3 vols (London 1920).
2 - Bixler, W.: Anglo German Imperialism in South Africa (1880 - 1900 - 1932).
3 - Burleigh, Bennet: The Natal Campaign (1900).
4 - Cloet, Stuart: A Biography of Paul Kruger, Cecil Rhhods and Lobengula Last King of the Metebele (London 1946).
5 - Cunligge, E. H.: History of the Boer War 2 Vols. (1901).
6 - De Kiewiet, C.: A History of South Africa (London 1911).
7 - Doyli, Conan: The Great Boer War (1900).
8 - Holt, udgar: The Boer War (1950).
9 - Kruger, Paul: The Memoires of Paul Karuger 2 Vols (London 1902).
10 - Leo Marquard: The Story fo South Africa (London 1954).

obeikandl.com